

دور جامعة الدول العربية في مستقبل العراق السياسي

أ.م.د. حميد فرحان الراوي

فرع الدراسات الدولية

المقدمة:

إن الجامعة العربية منذ تأسيسها عام 1944 بموجب ((بروتوكول الاسكندرية)) والتي تعتبر من أوائل المنظمات الإقليمية، وتمثل جامعة الدول العربية ملتقى يجسد الصلات الوثيقة والروابط العديدة التي تجمع الدول العربية شرقاً وغرباً (22 دولة ومن بينها فلسطين المحتلة) وهي (مصر، العراق، لبنان، السعودية، سوريا، الأردن، اليمن وانضمت لاحقاً ليبيا عام 1953 السودان 1956 والمغرب وتونس عام 1958 والكويت عام 1961 والجزائر عام 1962 والبحرين وعمان وقطر والامارات العربية المتحدة عام 1971 وموريتانيا عام 1973 والصومال عام 1974 وجيبوتي عام 1977 وجزر القمر 1993 وقبلت منظمة التحرير الفلسطينية كعضو عام 1976 واريتريا لم تطلب الانضمام الى الجامعة. وترجع نشأة الجامعة العربية الى خطاب انطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا في 29 ايار عام 1941 الذي أيد فيه أماني الكثير من المفكرين العرب في قيام وحده بين شعوبهم، وأن بلاده ستؤيد أي مشروع ينال إجماع العرب، وفي 24 شباط عام 1943 أكد انطوني ايدن أمام مجلس العموم البريطاني أن دولته تؤيد أي حركة لتعزيز الروابط الاقتصادية والسياسية والثقافية بين العرب. وكان الجانب المصري مندفعاً لإقامة مشروع الدول العربية خوفاً من تحقيق مشروع الهلال الخصيب الذي تبناه العراق، ثم جاءت مشاورات الوحدة العربية التي دعت إليها مصر عام 1943، حيث قامت الحكومة المصرية بالدعوة الى عقد لجنة تحضيرية لمؤتمر عام، اجتمعت في الإسكندرية في الفترة من 25 أيلول إلى 7 تشرين اول 1944، وانتهت إلى إصدار "بروتوكول الإسكندرية" الذي يعتبر حجر الاساس لميثاق الجامعة. وتم تأليف لجنة فرعية سياسية من أعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع نظام أساسي للجامعة، واجتمعت اللجنة بالاسكندرية من 17 شباط إلى 3 آذار 1945 وقامت بإعداد مشروع لميثاق الجامعة ورفعته اللجنة التحضيرية التي أقرته،

وفي 22 اذار 1945 انعقد المؤتمر بحضور الدول (سوريا، لبنان، شرق الأردن) التي لم تكن حصلت على الاستقلال (العراق، السعودية، مصر) حيث تم التوقيع على الميثاق الذي دخل حيز التنفيذ في (11 أيار 1945) وبعد انقضاء خمسة عشر يوما من تاريخ استلام الامين العام للجامعة وثائق التصديق عليه من أربع دول (المادة 20 من الميثاق)، أصبحت الجامعة واقعا ملموسا بعد أن كان حلما يراود العرب. يتكون الميثاق من ديباجة وعشرين مادة وثلاثة ملاحق، وتقتضي دراسة الجامعة أن تعرض أهداف ومبادئ الجامعة وبنيتها وأجهزتها وشخصيتها القانونية، وتطبيق عملها على أرض الواقع والقضية العراقية بالذات كونها محور الدراسة، والعراق لاعب رئيسي ورائد من روائد هذا الكيان وما قام به وقدمه يعجز في هذا المقام، ولكن ماذا قدمت الجامعة للعراق خاصة بعد احتلاله. إن احتلال العراق أظهر عجز النظام العربي وبين مدى الضعف والتشرذم والانهييار، ولو استعرضنا أهداف ومبادئ الجامعة، وما حصل على أرض الواقع ليتبين لنا هشاشة النظام العربي وعدم مقدرته على مواجهة الاحداث، ولتبين بأن الميثاق مجرد حبر على ورق، فأهداف الجامعة التي وردت في ديباجة الميثاق والمادة الثانية، إذ ورد في الديباجة "تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العربية التي تربط الدول العربية وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها" فأين هذا مما حصل للعراق، أما ما جاء في المادة الثانية من الميثاق إن "الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدولة المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها مثل الشؤون الاقتصادية والمالية، والتبادل التجاري والكمارك والعملية وأمور الزراعة والصناعة والموصلات وشؤون الثقافة، وشؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات، والشؤون الاجتماعية والصحية، والعلمية.

كما يتضح لنا أن أهداف الجامعة هي:

أولا: صيانة استقلال الدول الاعضاء وسيادتها

ثانيا: توثيق الصلات بين الدول الاعضاء وتنسيق خططها وسيادتها

ثالثاً: النظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها

رابعاً: تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً

نرى أن مجالات التعاون السابقة وردت على سبيل المثال لا الحصر لان المادة الثانية جاء فيها "كذلك من اعتراضها" هذا من ناحية ومن ناحية اخرى يتواكب هذا مع ما قررته المادة (19) من الميثاق، إذ نصت على انه يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق، وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها امتن واثق لانشاء محكمة عدل عربية. ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي تنشأ في المستقبل، أما المبادئ فقد جاءت على عدة مبادئ لتحقيق اهدافها والنهوض بالعمل العربي وهذه المبادئ هي:

1- المساواة في السيادة بين الدول الاعضاء واحترام استقلالها

2- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء

3- عدم جواز الألتجاء الى القوة لفض النزاعات بين دولها.

اين نحن من هذا الكلام الجميل، فالجامعة العربية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا لم تسجل موقفا قوميا وطنيا لحل مشاكل الامة ومنذ احتلال العراق البلد المؤسس والفعال في المنظمة الإقليمية، والذي قدم الكثير منذ نشأتها وحتى احتلاله. ولكن ماذا قدمت الجامعة للعراق في محنته من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والعسكرية ولو عدنا لنشاط الجامعة واجهزتها وحجم تعاملها لتبين لنا بأنها تتمكن من تقديم الكثير للعراق ولفوتت الفرصة على أعداء العراق من احتلاله ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل أنها تريد احتلال العرق وإذلاله؟ أم أنها لا تريد أن تقف ضد التيار الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية واعوانها؟ فلو القينا نظرة سريعة الى معاهدة الدفاع العربي المشترك والتعاون الاقتصادي والاجهزة التابعة لها من مجلس الدفاع المشترك الى الهيئة الاستشارية العسكرية واللجنة العسكرية الدائمة، والقيادة العربية الموحدة، والمجلس الاقتصادي ومنذ تأسيسها في 13 نيسان 1950 ماذا حققت للعرب وكم مشكلة عربية حلتها، خسرت فلسطين والآن العراق تحت الاحتلال ماذا قدم العرب سوى تسهيل مهمة المحتل، علما بأن مجلس الدفاع المشترك يضم وزراء

الخارجية والدفاع العربي وفقا للمادة (6) من الاتفاقية، ويختص المجلس باتخاذ جميع التدابير اللازمة لرد أي اعتداء يقع على أية دولة ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابها واتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية لمقاومة اي اعتداء مسلح وينظم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله واساليبه ويمارس المجلس اختصاصه تحت اشراف مجلس الجامعة ويصدر مجلس الدفاع المشترك قراراته بأكثرية ثلثي الدول الاعضاء وقراراته ملزمة للجميع، المادة (6) من الاتفاقية، كما أن الهيئة الاستشارية العسكرية التي تضم رؤساء أركان الحرب لجيوش الدول العربية أين هي عندما احتل العراق وماذا فعلت؟ كما أن القيادة العربية ماذا فعلت أثناء الاحتلال، كما ان الجامعة العربية تتمتع بالشخصية القانونية الدولية، ماذا قدمت للعراق منذ احتلاله وحتى يومنا هذا على المستوى الدولي والاقليمي والداخلي، سوى تصرّح وتستنكر وتشجب في بعض الأحيان لا أكثر من ذلك ولغرض الاستهلاك المحلي ومجرد إعلام، أين هي عما يحدث على الساحة العراقية من امتهان وخروقات خارجية وتدخلات في الشأن العراقي، وهي تتفرج نسيبت أم تناسبت دور العراق الفاعل وأهميته في العمل العربي والمحافل الدولية وحماية البوابة الشرقية للوطن العربي، ودوره الريادي في كافة القضايا العربية. إن ما تملكه الجامعة العربية من اوراق واتفاقيات وحصانات والشخصية القانونية الدولية وما لها من علاقات بالمنظمات الدولية وصلاحيات قانونية، وما يعني استقلال المنظمات الدولية عن إرادة أعضائها، فكان المطلوب منها أن تكون نشطة وفعالة لاجراء العراق من أزمته، لكن ماذا قدمت للعراق على المستوى الدولي والاقليمي والمحلي، كم دعوى قدمت باسمها الى القضاء الدولي والمنظمات الدولية أو إلى التحكيم الدولي أو التدقيق أو طلب الإفتاء في القضايا التي يقوم بها المحتل على أرض العراق وكلها قضايا يحاسب عليها القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة، وما هي المساعي الحميدة التي قامت بها "المصالحة الوطنية" التي ولدت فيه أم ماذا؟ العراق لم ينصف من قبل جامعته الميئة، ولو راجعت الجامعة نفسها لوجدت بأنه يضع على كاهلها مجموعة من الالتزامات القانونية اتجاه العراق على المستوى الدولي والاقليمي والمحلي، والمثل يقول (ما حك جلدك مثل ظفرك) والعراقيون يجب أن لا ينتظروا شيئاً من جامعتهم ولا

من أحد غير العراقيين، وعليهم حل مشاكلهم بأنفسهم وذلك بنبذ كافة الخلافات، والارتقاء إلى مستوى المسؤولية من اجل بناء العراق بعيدا عن التحزبات والولاءات غير الولاء للعراق، وإن التشرف بالأخوة الزائفة والسفارات مجرد رياء وليس حقيقة، والتصريحات والادعاءات مجرد كلام للاعلام والاستهلاك المحلي، الجامعة العربية فقدت مصداقيتها ومحتواها، ولا داع لوجودها لأنها لم تحقق شيئا للعرب سوى أنها ملجأ للمرتزقة يقيمون على ضفاف النيل الخالد، والعراق لا يتوقع شيئا من الجامعة.